موقف النحويين من القراءات في ظواهرها الصوتية

م.م. عماد حميد عبدالله

المقدمة:-

ليس خافياً على أحد أنَّ ارتباط الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم قد منح هذه الدراسات حصانة علمية وعزَّز مكانتها في نفوس المسلمين، لأنَّ هذا الكتاب السماوي العظيم هو المنبع الأصيل الذي فاضت وتفيضِ منه معارف العربية، ولا يعوز الباحث الدليل ولا تنقصه الحجة إذا ما أراد أن يلتمس الصلة بين العربية والقرآن أنَّها منه صوته وصورته وأنه منها نموذجها الأدبي وأسلوبها الأمثل، وحركة التأليف اللغوي الحادثة بعد عصر القرآن كفيلة بالإبانة عن أثر القرآن في العربية حق الإبانة.

ومن هنا كان البحث في القراءات القرآنية أمراً لازماً لكل لغوي ، لاشتماله ، على ثروة لفظية قد اكتسبت معاني جديدة وإنَّ اكتسابها لهذه المعاني جعل منها أول تجربة ناجحة للمصطلح اللغوي في تاريخ العربية العريقة.

والقراءات القرآنية المعين الذي لا ينضب والينبوع الذي ترتوي منه هذه الأمة لفهم كتاب الله سبحانه وتعالى وتجلية معانيه ولا تزال هذه القراءات مكاناً خصباً لكل الدراسات اللغوية والنحوية.

وحيوية هذه تعود إلى أنَّها من ضمن القراءات التي كان للنحويين أنفسهم مواقف مختلفة تجاهها كما اختلفت مواقفهم من المسائل اللغوية والنحوية وهذا الاختلاف قد يكون على المستوى المذهب النحوي بملامحه ، العامة أو قد يكون في مواقف فردية قد يخالف فيها النحوي جماعة مذهبه ويوافق مذهباً آخر ، أو قد ينفرد هو بالموقف دون أن يتفق مع أحد.

ولهذه وغيرها مست الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة عن هذه الظواهر الجديرة بالاهتمام للوقوف على أوجهها الصوتية والصرفية في القراءات القرآنية ومناقشتها في ضوء أصولها الصوتية والصرفية.

والمنهج الذي اتبعتهُ منهج تطبيقي في معظم جوانبه يقوم على أساس تقصي الظواهر بالرجوع إلى مصادر اللغة والتفسير واقتضت طبيعة هذا المنهج تقسيم الدراسة الى مسائل

والله أسأل أنْ يوفقنا لخدمة القرآن الكريم وهو الهادي الى سواء السبيل .

الظواهر الصوتية :

يندرج كثير من الخلاف في القراءات تحت هذا العنوان لأنه يرجع إلى قضايا صوتية.

فالتغير في الأصوات يجري في الكلمة أو الألفاظ المتجاورة نحو الانسجام بين أصواتها وجعلها خفيفة في النطق، وهو يكون في الأصوات المتجاورة المتماثلة أو المتقاربة ، ثم يكون في الأصوات التي يحدث في نطقها ثقل كالضمة يعقبها كسرة فينقلب الصوت الأول أو الثاني إلى مثيل لمجاوره . وإليك نماذج من هذه الظواهر في القراءات وموقف النحويين منها:

المسألة الأولى: المماثلة الحركية:

قرأ الحسن البصري في قوله تعالى: ((الحَمد للهِ ربِ العالمين))[١]، بكسر الدال[٢]، وقرأ ابراهيم بن أبي عبلة (الحمدُ لله) مضمومة الدال واللام[٣].

جاءت القراءتان على أوفق لهجتين عربيتين، فقراءة الكسر لهجة تميم، أو وقراءة الضم لبعض بني ربيعة[٤]، وقد عللهما الفراء تعليلاً صوتياً إذ قال: ((وأما من خفض الدال من (الحمد) فأنه قال: ((هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في أسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة، وجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبل، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم، وأما الذين رفعوا اللام فأنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل الحُلُم والعقب))[٥].

---

(١) سورة الفاتحة: ٢ .
(٢) مختصر شواذ القراءات – لابن خالويه: ١.
(٣) ينظر مختصر شواذ القراءات – لأبن خالويه : ٢ .
(٤) ينظر إعراب القرآن – للنحاس: ١/١٢٠.
(٥) ينظر معاني القرآن – للفراء: ٣/٧ ، ٤، وإعراب القرآن – للنحاس: ١/١٢٠.

وعلى الرغم من أن القراءتين، رواهما قراء موثوقون، فالنحويون البصريون لم يجوزوهما[١]، ووصفوهما بالشذوذ في الاستعمال والضعف في القياس[٢]، لم يجوزوا كسر الدال لأنه يؤدي إلى إبطال الإعراب، أما ضم اللام فممتنع لأن (الإتباع) لما كان في الكلمة الواحدة قليلاً ضعيفاً كان مع الكلمتين ممتنعاً البتة، لأن المنفصل لا يلزم لزوم المتصل فإذا كان في المتصل ضعيفاً امتنع في المنفصل البتة، لأنه ليس بعد الضعف إلا امتناع الجواز [٣].

هذا القياس الذي احتج به ابن الأنباري للبصريين يختلف عما كان في كلام الفراء، فمعيار الفراء كان أقرب إلى اللغة وأساليب النطق فيها ، وهو شائع في مذهب الكوفيين لذا هم قبلوا القراءتين وبنوا عليهما ((أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل فتكسر في ((اضرب)) إتباعاً لكسرة العين وتضم في ((اُدخُل)) إتباعاً لضمة العين))[٤].

لامنطق في إخضاع القراءات لمقايس النحو ؛ لأن القراءة كما ذكر الداني وغيره من علماء القراءات – سُنّةٌ متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

والحق أن البصريين كانون غير منطقيين في رفضهم القراءات لأن المنطق يقضي بأن اللغة توصف وصفاً لا تخضع للمنهج العقلي ، ولمّا كان القراءات جزءاً رئيساً من اللغة ، كان الأحرى إخضاع أقيستهم لها وليس العكس .

وإلى جانب القراءتين المذكورتين أخذوا بقراءة حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) في قوله تعالى: ((فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ))[٥] بكسر الهمزة[٦]، وهذه اللهجة حكاها سيبويه[٧] وقال الكسائي ((هي لغة كثير من هوازن وهذيل))[٨].

(١) ينظر إعراب القرآن – للنحاس: ١/١٢٠.
(٢) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف – لابن الأنباري، المسألة (١٠٧): ٢/٣٩٥.
(٣) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة (١٠٧): ٢/٣٩٥.
(٤) الأنصاف في مسائل الخلاف – لابن الأنباري (١٠٧): ٢/٣٩٣، ومدرسة الكوفة د. مهدي المخزومي: ٣٠٨.
(٥) سورة النساء: ١١.
(٦) ينظر: الحجة في القراءات السبع – لابن خالويه: ٩٥.
(٧) ينظر الكتاب – لسيبويه: ٤/١٤٦.
(٨) إعراب القرآن – للنحاس: ١/٣٩٩.

هذه القراءات هي المماثلة بين الحركات أو التوافق الحركي للمقاطع المتتابعة، فالأصوات المتجاورة يتأثر بعضها ببعض فيقلب الصوت حركة كان أم حرفاً إلى مثيل أو قريب من الآخر ليكون بينهما توافق وانسجام(١)، ففي قراءة ((الحمدُ لله)) تجاور مقطعان هما: ((د + الضم، ل + الكسر)) – وهنا ينقلب أحد الصوتين القصيرين إلى شبيه للآخر للانسجام والتوافق بينهما.

المسألة الثانية: المماثلة بين الحروف ((الإدغام)):

يعد الإدغام ظاهرة صوتية لغوية تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة، ولهذا عبر هذا الإدغام القرون حتى وجدنا سماته في لهاجتنا الحديثة(٢).

الإدغام ينطق بسكون الدال عند الكوفيين . وبتشديد الدَال (الإدّغام) ، عند البصريين ، حيث ذهب بالخليل الى ان التشديد علامة الأدغام ، فيكون على الأول وزنها (إفْعال)) وعلى الثاني (افتعال)) (٣).

في اللام في قراءة الآية في قوله تعالى: ((وأنه أهلك عاداً الأولى))(٤).

قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ((عاداً الأولى)) منونة، وقرأ نافع وأبو عمرو ((عاد الّولى)) موصولة مدغمة(٥).

وقد وضحها الداني قائلاً: ((بضم اللام بحركة الهمزة وإدغام النون فيها بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو، والباقون يكسرون التنوين ويسكنون اللام ويحققون الهمزة بعدها))(٦).

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية – د. إبراهيم أنيس: ١٢٧، واللهجات العربية في القراءات القرآنية – د. عبده الراجحي: ١٤٣.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ١٢٧، واللهجات العربية: ١٤٣.

(٣) ينظر الخصائص – ابن جني : ١٩٣/٢ .

(٤) سورة آل عمران : ٧٥

(٥) ينظر: السبعة في القراءات – لابن مجاهد: ٦١٥.

(٦) التيسير في القراءات السبع: ٢٠٤، الحجة في القراءات السبع: ٣١.

وصفت قراءة نافع وأبي عمرو باللحن[١]، وقد روى قوله في تلحين أبي عمرو: ((ما علمت أن أبا عمرو بن العلاء لحن في صميم العربية في شيء من القرآن إلا في ((يؤده إليك))[٢]، وفي ((وأنه أهلك عاد الّولى))[٣]، وتابعه محمد بن الوليد راوي قوله هذا قائلاً: ((لا يجوز إدغام التنوين في هذه اللام لأن هذه اللام أصلها السكون والتنوين ساكن ، فكأنه جمع بين ساكنين))[٤] ووصف أبو جعفر النحاس هذا الإدغام بالـرداءة في العربيـة حين عرض لقراءة ابن محيصن في قوله تعالى: ((إنا إذن لملاّثمين))[٥] قائـــلاً: وهذا ردئ في العربية لأن اللام حكمها السكون وإنْ حُرّكت فإنما الحركة للهمزة، ونظير هذا قراءة أبي عمرو ونافع ((وأنه أهلك عاد الّولى))[٦].

أما أبو إسحاق الزجاج ذكر أنها : ((يعني لولي)) لهجة العرب[٧].

وقد ذكرها الفراء محتجاً لها قائلاً: ((وهي قراءة أهل المدينة جزموا النون لما تحركت اللام، والعرب تقول – قمْ لان، وقمْ الآن وصمِ الاثنين وصمْ لثنين))[٨].

الإدغام ، وهو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة فيختفي أحد الصوتين في الآخر، والذين يذهبون إلى الإدغام يذهبون إليه طلباً للتخفيف وتقريب الصوت من الصوت كما قال ابن جني[٩].

والنون واللام صوتان متقاربان في المخرج وهما من الحروف التي بين الشديدة والرخوة[١٠].

يعد الإدغام ظاهرة من ظواهر المماثلة التي يعني فيها الصوتان عناءاً اشتقاقاً ولذلك سماها المحدثون complete Assertion

(١) ينظر – اعراب لاقرآن للنحاس ٢٧٦/٣ .
(٢) سورة آل عمران: ٧٥.
(٣) سورة النجم: ٥٠.
(٤) إعراب القرآن – للنحاس: ٢٧٧/٣.
(٥) سورة المائدة: ١٠٦، وينظر: القراءة في مختصر في شواذ القراءات: ٣٥.
(٦) إعراب القرآن – للنحاس: ٥٢٦/١.
(٧) معاني القرآن وإعرابه – الزجاج : ٧٧/٥ .
(٨) معاني القرآن – للفراء: ١٠٢/٣.
(٩) ينظر: الخصائص – لابن جني: ١٤٠/٢، والأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس: ١٣٤.
(١٠) ينظر: سر صناعة الإعراب – لابن جني: ٦٩/١، وعلم اللغة العام – الأصوات – كمال بشر: ٨٩.

المسألة الثالثة: التخفيف من حركة الإعراب:

تفيد إشارات اللغويين القدامى الى أن العرب لم يكونوا على سنة واحدة في نطق ألفاظهم من حيث تشديدها وتخفيفها، ولاشك أن في التشديد وظيفة معنوية ليست موجودة في التخفيف، لأنه ينشأ من زيادة حرف على بناء الكلمة، والزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى.

فإذا أرادوا التعبير عن معاني المبالغة والتكثير والمداولة والتكرير تحروا صيغة التشديد، لأن فيها زيادة في المعنى وتأكيداً لا تؤديه الصيغ المخففة على الأكثر.

في الآية: ((وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم))[١]، ((قراءة السبعة غير أبي عمرو بكسر همزة ((بارئكم))، أما أبو عمرو فقد روى عنه إسكان همزتها))[٢]، وكان أبو عمرو يميل((إلى التخفيف في قراءته كراهية لتوالي الحركات))[٣]، وروي عنه تسكين لام الفعل في مواضع أخرى[٤] هي: ((يأمركم))[٥] و ((ينصركم))[٦] و

(١) سورة البقرة: ٥٤.
(٢) السبعة في القراءات: ١٥٤، ١٥٦، والحجة في القراءات السبع: ٥٤، والتيسير في القراءات السبع: ٧٣.
(٣) السبعة في القراءات: ١٥٤، ١٥٦، والحجة في القراءات السبع: ٥٤، والتيسير في القراءات السبع: ٧٣.
(٤) ينظر: السبعة في القراءات: ١٥٥، والحجة في القراءات السبع: ٥٤.
(٥) سورة البقرة: ٦٧.
(٦) سورة آل عمران: ١٦٠.

((يلعنْهم))[١] و ((يجمعكم))[٢] و ((يعلمكم))[٣] وأشباه ذلك مما توالت فيه الحركات واستشهد لذلك بقول امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل[٤]

بتسكين باء ((أشربْ)).

وللفراء تعليل صوتي للتخفيف من الحركة حين تتوالى الحركات ويثقل النطق بها إذ قال: ((وقوله تعالى: ((أنلزمكموها))[٥] العرب تسكن الميم التي من اللزوم فيقولون: أنلزمْكموها، وذلك أن الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها وحركتين بعدها وأنها مرفوعة فلو كانت منصوبة لم تستثقل فتخفف، إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين، فأما الضمتان فقوله تعالى: ((لا يحزنهم))[٦] جزموا النون لأن قبلها ضمة فخففت كما قال: رُسْل[٧]، وأما الضمة والكسرة فمثل قول الشاعر:

وناع يخبرْنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنامل[٨]

سيبويه فقد كان يرى في قراءة أبي عمرو ((بارئكم)) اختلاس الحركة[٩] إلا أنه ((جوز تسكين الحرف المرفوع والمجرور في الشعر وروي الشواهد في ذلك))[١٠]، وكذا فعل الأخفش

(١) سورة البقرة: ١٥٩.
(٢) سورة الجاثية: ٢٦.
(٣) سورة البقرة: ١٥١.
(٤) ديوان امرئ القيس – تحقيق: أبو الفضل إبراهيم: ٢٥٨.
(٥) سورة هود: ٢٨.
(٦) سورة الأنبياء: ١٠٣.
(٧) معاني القرآن: ١٢/٢.
(٨) ديوان امرئ القيس: ٢٥٩-٢٦٠.
(٩) الكتاب – لسيبويه: ٢٠٢/٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٠٣/٤.

الأوسط فهو وصف التسكين بالغلط واتهم من رواه بالوهم ثم قال: ((سمعت من العرب من يقول: جاءت رسلُنا، جزم اللام وذلك لكثرة الحركة)) ثم روى الشواهد من الشعر على التسكين))[١].

فسيبوه وجه القراءة على اختلاس للحركة والأختلاس شائع عند القّراء

أما من جاء بعده من النحويين فقد قالوا بتلحينها صراحة وممن لحنها أبو العباس المبرد إذ قال: ((أنه لحن لا يجوز في كلام ولا شعر لأنها حرف إعراب))[٢]. وكذا ((لحن قراءة الأعمش وحمزة))[٣] للآية ((ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله))[٤] بحذف الإعراب من ((السيء)) ، وتبعه في تلحين هذه القراءة أبو إسحاق الزجاج قائلاً: ((وهو لحن لا يجوز))[٥]، وقد وافقهم النحاس على ذلك فقال بعد ذكره قول الزجاج: ((وإنما صار لحناً لأنه حذف الإعراب منه، وزعم محمد بن يزيد (المبرد) أن هذا لا يجوز في كلام ولا شعر؛ لأن حركات الإعراب لا يجوز حذفها لأنها دخلت للفروق بين المعاني))[٦].

وقد روى سيبويه الأول ((صاحبْ)) بتسكين الباء وروى الثاني ((فاليوم اشربْ)) دون فاء، وكذا رأينا الفراء قد رواهما فيما سبق ذكره.

وكان بعض النحويين أحياناً يتحرجون من تلحين قارئ من السبعة أو غيرهم فيلجأ إلى تعليل القراءة ثم يصف رواتها بالوهم كما اتهم ابن جني رواة قراءة أبي عمرو وأمثالها بضعف الدراية وانحاز إلى قول سيبويه: ((اختلاس الحركة لا حذفها))[٧]، كما علل بعض النحويين قراءة الأعمش المذكورة بأنه كان يقف عند ((السيِّئ)) الأولى فيسكن فغلط من ادعى عليه حذف الحركة[٨].

(١) معاني القرآن – للأخفش: ٩٣/١، ٩٤.
(٢) إعراب القرآن – للنحاس: ١٧٦/١، ٧٠٣/٢.
(٣) السبعة في القراءات: ٥٣٥، وقرأ باقي السبعة بكسر الهمزة.
(٤) سورة فاطر: ٤٣.
(٥) إعراب القرآن – للنحاس: ٧٠٣/٢.
(٦)إعراب القرآن – للنحاس: ٧٠٣/٢.
(٧) الخصائص: ٧٢/١ ، ٧٣.
(٨) إعراب القرآن – للنحاس: ٧٠٣/٢.

المسألة الرابعة: وزن مفاعل وفعائل

أولاً: وزن مفاعل وفعائل:

قوله تعالى: ((ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون))[١].

قرأ السبعة ((معايش)) بالياء وقرأها الأعرج[٢] ورواها خارجة بن مصعب عن نافع[٣] ((معائش)) بالهمزة وكذا نقلت عن ابن عامر وزيد بن علي والأعمش)) [٤]، وصف البصريون هذه القراءة بالرداءة والخطأ واللحن، قال الأخفش: ((قد همزه بعض القراء وهو ردىء لأنها ليست بزائدة وإنما يهمز ما كان على مثال مفاعل إذا جاءت الياء زائدة في الواحد))[٥]، وقال ابو حيان: ((جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ))[٦].

وقال المازني: ((أصل هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا))[٧]، وتابع النحاس قول الزجاج إذ قال: ((والهمز لحن لا يجوز لأن الواحد معيشة....))[٨]، مما يستغرب أن أبا بكر ابن مجاهد قال: ((هو غلط بعد ذكره أياها))[٩].

عدّ النحويون هذه القراءة مخالفة للقياس في جمع هذه الكلمة فحرف العلة إذا كان أصلاً في المفرد ردّ إلى أصله في الجمع، فصيغة ((مفعلة)) تجمع على ((مفاعل)) مثل منارة ومنار ومقامه ومقاوم وكذا معيشة ومعايش، أما صيغة ((فعيله)) فتجمع على ((فعائل)) وحرف العلة فيها زائد مثل قبيلة قبائل ومدينة مدائن وعقيلة عقائل، وقف أبو حيان مدافعاً عن هذه القراءة إذ قال: ((ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة.. فوجب قبول ما نقلوه إلينا ((أي القراءة)) ولا مبالاة

---

(١) سورة الأعراف: ١٠.
(٢) مختصر في شواذ القراءات: ٤٢.
(٣) السبعة في القراءات: ٢٧٨، إعراب القرآن – للنحاس: ٦٠٠/١.
(٤) البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي: ٢٧١/٤.
(٥) معاني القرآن – للأخفش: ٢٩٣.
(٦) البحر المحيط – لأبي حيان: ٢٧١/٤.
(٧) المصدر نفسه: ٢٧١/٤.
(٨) معاني القرآن وإعرابه – للزجاج : ٧٧/٥ .
(٩) السبعة في القراءات: لأبن مجاهد : ٢٧٨ .

بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا، وأما قول المازني: ((أصل أخذ هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر وعن الأعرج وزيد بن علي والأعمش)) وأما قوله: ((إنّ نافعاً لم يكن يدري ما العربية فشهادة على النفي، ولو فرضنا أنه لا يدري ما العربية وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء))[١].

أما الكوفيون فقد جوزوا هذه القراءة لتجويزهم الهمز في مثل هذا الموضع لوروده في كلام العرب، قال الفراء: ((وربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها ((فعيله)) لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف.. وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام))[٢].

المسألة الخامسة : الضمير المنفصل: (أنا) :

أ- الضمير المنفصل ((أنا)):

في الآيتين بقوله تعالى: ((قال أنا أحيي وأميت))[٣]... وقوله: ((وأنا أول المؤمنين))[٤] قراءة نافع وأبو جعفر ((إذا كان بعد ((أنا)) همزة مضمومة أو مفتوحة بإثبات الألف في حالي الوقف والوصل وباقي السبعة بحذف الألف في الوصل ويثبتونها في الوقف))[٥]، وقد احتج ابن خالويه لإثبات الألف بأنها لهجة عربية[٦]، فإثباتها في الوصل والوقف لهجة تنسب إلى بني تميم وحذفها إلى الحجاز[٧]، وكذا الأشموني فقد ذكر أن هذا الضمير فيه خمس لهجات فصحاهن إثبات الألف وقفاً وحذفها وصلاً والثانية إثباتها وصلاً ووقفاً وهي لهجة تميم....)) [٨] والمشهور عن تميم أنها قبيلة بادية تميل إلى السرعة في الكلام حتى نسب إليها حذف بعض الأصوات إلا أننا إذا نظرنا إلى الروايات التي تثبت الألف في ((أنا)) وجدناها وردت في قراءات بعدها همزة،

(١) البحر المحيط: ٢٧١/٤ ، ٢٧٢.
(٢) معاني القرآن: ٣٧٣/١ ، ٣٧٤.
(٣) سورة البقرة: ٢٥٨.
(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.
(٥) السبعة في القراءات: ١٨٨، التيسير في القراءات السبع: ٨٢.
(٦) ينظر : الحجة في القراءات السبع: ٧٦.
(٧) ينظر : البحر المحيط – لأبي حيان: ٢٨٤/١.
(٨) شرح الأشموني بحاشية الصُبّان : ١١٤/١.

وتميم كانت من القبائل المشهورة بالهمزة، فقد يكون إثبات الألف هنا في لهجتها توصلا إلى تحقيق الهمز[١]، وقد وردت على هذه اللهجة شواهد تثبت ألف أنا في الوصل دون أن يكون بعدها همزة وقد عدّ ذلك من ضرورات الشعر كقول الشاعر:

فكيف أنا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا[٢]

وعلى الرغم من ذلك فقد جعل النحاس إثبات الألف في قراءة نافع شاذاً في الشعر[٣] وكرر وصفها بالشذوذ حين ذكرها في ((سورة الأعراف)) قائلاً: ((وقرأ نافع قوله تعالى: ((وأنا أول المؤمنين))[٤] بإثبات الألف في الإدراج ، والأولى حذفها في الإدراج ، وإثباتها لغة شاذة خارجة عن القياس.

لأن الألف إنما جيء بها لبيان الفتحة وأنت إذا أدرجت لم تثبت فلا معنى للألف))[٥]، والنحاس نفسه في موضع آخر ردّ احتجاج أبي عبيد في اختياره قراءة قوله تعالى: ((ولا تفرحوا بما أتاكم))[٦]، قياساً على ما قبله قائلاً: ((لأن كتاب الله لا يحمل على المقاييس وإنما يحمل بما يؤديه الجماعة عن الجماعة فإذا جاء رجل فقاس بعد أن يكون متبعاً...))[٧]، ثم يوثق قراءة نافع ويؤكدها في قوله: ((وإنما تؤخذ القراءة كما قلنا أو كما قال نافع بن أبي نعيم: ما قرأت حرفاً حتى يجتمع عليه رجلان من الأئمة أو أكثر فقد صارت قراءة نافع من ثلاثة أو أكثر ولا نعلم أحداً قرأ بهذا الذي اختاره أبو عبيد إلا أبا عمرو...))[٨]، والنحاس نحوي مقيد بمنهج النحويين والقياس أساس من أسسه فما خرج على الأعم عن القياس الأشهر ضعفه وشذذه أو رفضه كما يفعل النحويون البصريون بخاصة إلا أنه يتأثر أحياناً بشيوخه من البغداديين الذين كانوا يتوسعون في قياسهم فيقبلون القراءات التي خرجت على قياس البصريين المتشددة ثم تأخذه أثار شيوخه من البصريين فيرجع إلى تشددهم في موقفهم من القراءات كما رأيناه في قوليه السابقين ثم ما قال في

(١) ينظر : للهجات العربية في القراءات القرآنية: ١٦١.
(٢) البحر المحيط: ٢٨٨/٢.
(٣) ينظر إعراب القرآن – للنحاس: ٢٨٤/١.
(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.
(٥) إعراب القرآن – للنحاس: ٦٣٦/١.
(٦) سورة الحديد: ٢٣.
(٧) إعراب القرآن – للنحاس: ٣٦٦/٣.
(٨) المصدر نفسه .

قراءة ابن عباس قوله تعالى: ((ولم تجدوا كتاباً))[١]، مشذذاً إياها: ((هذه القراءة شاذة والعامة على خلافها وقلّ ما يخرج عن قراءة العامة إلا كان فيه مطعن نسق الكلام يدل على كاتب[٢] قال تعالى قبل هذا: ((وليكتب بينكم كاتب بالعدل))[٣].

المسألة السادسة : ياء المتكلم:

قوله تعالى: ((ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما اشركتمون من قبل))[٤]، حرك السبعة سوى حمزة ياء ((بمصرخي)) إلى الفتح وحركها حمزة الزيات إلى الكسر[٥]، وقرأها بالكسر أيضاً يحيى بن وثاب وسليمان ابن مهران الأعمش وجماعة من التابعين[٦]، وَعَد النحويون قراءة حمزة هذه بالشذوذ والضعف والوهم عللى الرغم من كونها صحيحة متواترة لأنهم يرون في ياء المتكلم لغتين هما: ((الفتح والتسكين إذ لم يكن قبلها ساكن فإذا كان قبلها ساكن فالفتح لا غير))[٧].

أما من جاء بعده من النحويين فقد قالوا بتلحينها صراحة وممن كنها أبو العباس المبرد . وهو لم يلحنها ، وإنما كان يَغُلّط أجازة الأخفش في (إسلْ زيداً) ، وهذا الرأي نُسب الى المبرد تلحين القراءة وهو لم يقل بذلك [٨].

وذهب ابو اسحاق الزجاج قائلاً : (وهو لحن لا يجوز) [٩] ، في الاية (ومكر الشيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) [١٠] بحذف الأعراب من (السيء) ، وقد وافقه النحاس على ذلك فقال بعد ذكر قول الزجاج : (وإنما صار لحناً لأنه حذف الإعراب منه) [١١]، وكذلك قال

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٣.
(٢) إعراب القرآن – للنحاس: ٣٠٢/١.
(٣) سورة البقرة: ٢٨٢.
(٤) سورة إبراهيم: ٢٢.
(٥) ينظر السبعة في القراءات: ٣٦٢.
(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٢/٢، والنشر في القراءات العشر – لابن الجزري: ٢٩٨/٢.
(٧) إعراب القرآن – للنحاس: ١٨٢/٢.
(٨) ينظر – المقتصب – للمبرد ٢٠٥٤/١/٥ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه – للزجاج : ٥/ ٧٧ .
(١٠) سورة فاطر – الآية ٤٣ .
(١١) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج : ٧٧/٥ .

المبرد (أن هذا لا يجوز في كلام العرب ولا في شعرهم ،لأن حركات الإعراب لا يجوز حذفها لأنها دخلت للفرق بين المعاني [١].

وكان بعض النحويين أحياناً يتحرجون من تلحين قارئ من القراء السبعة أو يغرهم فيلجأ الى تعليل القراءة ثم يصف رواتها بالوهم كما اتهم ابن جني رواة قراءة أبي عمرو وأمثالها بضعف الدراية[٢]. وانحاز الى قول سيبويه : ((اختلاس الحركة لا حذفها)) [٣] ، كما علل بعض النحويين قراءة الأعمش بأنه كان يقف عند (السيء) الأولة فيسكت فغلط من ادعى عليه حذف الحركة[٤].

إن القراءة قائمة على الرواية وهي الأصل فيها ولا تقوم على قواعد النحاة بل لم يشترط فحصصو القراء أمثال الداني و ابن الجزري كون القراءة موافقة للأقبس والأفصح في اللغة وإنما يكتفى بموافقتها وجها من اللغة وإن كان شاذاً ما دام كلاماً للعرب .

قال الأخفش سعيد بن مسعدة فيها: ((وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب ولا أهل النحو))[٥]، فقد بنى حكمه في تلحينها على عدم سماعه هو، وقال الزجاج هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف[٦]، أما الفراء فقد جعلها مرة وهماً إذ قال: ((لعلها من وهم القراء من طبقة "يحيى بن وثاب" فأنه قلّ من يسلم منهم من الوهم))[٧]، وأخرى حاول أن يجدلها دليلاً مسموعاً إذ قال: ((وسمعت بعض العرب ينشد:

قال لها هل لك ياتافئٍّ قالت له: ما أنت بالمرضيِّ

فخفض الياء من ((فيّ)) فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فيخفض الآخر منهما وأن كان له أصل الفتح... فكذلك الياء من ((مصرخيّ)) خفضت ولها أصل في

(١) المقتصب – للمبرد : ٢٥٤/١ .
(٢) ينظر الخصائص – لأبن جني /١/ ٧٢ –٧٣ .
(٣) الكتاب – لسيبويه : ١٤٦/٤ .
(٤) ينظر – إعراب القرآن – للنحاس : ٢/ ٣ – ٧ .
(٥) معاني القرآن – للأخفش: ٣٧٥/٢، وكذا اتهم أبو حاتم السجساني حمزة بالجهل بالعربية ووصف قراءته هذه باللحن. ينظر: مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي: ٢٧.
(٦) ينظر – معاني القرآن وإعرابه – للزجاج : ٣/ ١٥٩ .
(٧) معاني القرآن – للفراء: ٧٥/٢.

النصب[١]، وقال النحاس: ((إن الإجماع على عدم قبول كسر الياء في هذا الموضع سوى ما رواه الفراء ثم عقب قائلاً: ((ولا ينبغي أن يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ))[٢].

وقال مكي بن ابي طالب ((وهي حسنة على الأصول لكن الأصل إذا طرح صار استعماله مكروهاً وقد ذكر قطرب أنها لغة في بني يربوع))[٣].

قراءة حمزة جاءت على لهجة فصيحة هي لهجة بني يربوع وهم من تميم نص على ذلك قطرب وأجازها هو والفراء، وأمام اللغة والنحو والقراءة أبو عمرو بن العلاء وقال، القاسم بن معين النحوي هي صواب ولا غيده يقول الزمخشري وغيره ممن ضعفها أو لحنها فأنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة... وهذه باقية شائعة ذائعة في أفواه أكثر الناس إلى اليوم يقولون: ما فيّ افعل كذا...)) واحتج لهذه القراءة ابن خالويه[٤].

ودافع الأنباري عن كسر الياء في هذا الموضع معللاً إيَّاه تعليلاً صوتياً ، فجعله هو الأقوى لما فيه من التوافق مع همزة ((إني)) بعدها إذ قال: ((إن ياء الإضافة فيها لغتان: الفتح والإسكان، وأما الكسر فقد قال النحويون إنه ضعيف في القياس، وليس كذلك؛ لأن الأصل في التقاء الساكنين الكسر وإنما لم يكسر لاستثقال الكسرة على الياء فعدلوا إلى الفتح، إلا أنه عدل ههنا إلى الأصل وهو الكسر ليكون مطابقاً لكسرة همزة ((إني كفرت بما اشركتمون))[٥]، لأنه أراد الوصل دون الوقف، فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها وإنما عاب من عاب هذه القراءة لأنه توهم كسرة الياء بالباء على أن كسرة ياء المتكلم لغة لبعض العرب حكاه أبو علي قطرب))[٦].

المسألة السابعة : اتصال الهاء بالفعل المجزوم

(١) معاني القرآن – للفراء: ٧٦/٢.
(٢) إعراب القرآن – للنحاس: ١٨٢/٢.
(٣) مشكل إعراب القرآن – مكي بن أبي طالب: ٤٠٤.
(٤) الحجة في القراءات السبع: ١٧٨.
(٥) سورة إبراهيم: ٢٢.
(٦) البيان في غريب إعراب القرآن – لابن الأنباري: ٥٧/٢.

اختلف القراء أداء كناية الغائب الهاء المتصلة بالفعل المجزوم في قوله تعالى: ((يؤده إليك))[١]، و ((نصلة))[٢] فمنهم من وقفها ومنهم من أشمها الكسرة أو الضمة ومنهم من وصلها بياء أو واو[٣]، وقد وردت قراءات عن السبعة بتسكين الهاء المتصلة بالفعل المجزوم، وقراءاتهم متواترة صحيحة كما وردت عن غيرهم من الثقاة كالأعشى[٤].

لقد قرأ حمزة ((يؤدهْ)) و ((نولّهْ ... ونصله))[٥] و ((نؤته))[٦] و ((أرجه))[٧] و ((فالقهْ))[٨] بإسكان الهاء[٩].

وقرأ أبو عمرو براوية ((يؤدّهْ)) و ((نؤتهْ)) و ((نولّهْ ... ونصله)) بإسكان الهاء[١٠]، وقرأ عاصم براوية ((نودهْ)) و ((نولّهْ)) و ((نصلْه)) و ((فألقه)) و ((يرضهْ)) و ((نؤتهْ)) بإسكان الهاء[١١].

وصف النحويون قراءة التسكين في الهاء بالخطأ واللحن إذ لم يجوزوها، قال الزجاج: ((هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل[١٢]، وقال الفراء: ((إن القوم ظنوا أن الجزم في الهاء وإنما هو فيما قبل الهاء، فهذا وأن كان توهماً، خطأ))[١٣].

ثم عاد فذكر مذهباً آخر في جواز تسكين الهاء قائلاً: ((إن من العرب من يجزم الهاء إذ تحرك ما قبلها فيقول: ضربتُهْ ضرباً شديداً، أو يترك الهاء إذ سكنها وأصلها الرفع بمنزلة رأيتهمْ

(١) سورة آل عمران: ٧٥.
(٢) سورة النساء: ١١٥.
(٣) ينظر ذلك مفصلاً في السبعة في القراءات – لابن مجاهد: ٢٠٧-٢١٢.
(٤) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ١١٥/٤.
(٥) سورة النساء: ١١٥.
(٦) سورة آل عمران: ١٤٥.
(٧) سورة الأعراف: ١١١.
(٨) سورة النمل: ٢٨.
(٩) السبعة في القراءات: ٢١٢.
(١٠) المصدر نفسه: ٢١١.
(١١) المصدر نفسه: ٢١٠.
(١٢) إعراب القرآن واعرابه – للزجاج: ٤٣٢/١.
(١٣) معاني القرآن – للفراء: ٢٢٣/١.

وأنتمْ...))[١] ثم عاد الفراء أيضاً في قوله تعالى: ((ارجهْ واخاه))[٢] مؤكداً أن تسكين الهاء لهجة للعرب قائلاً: ((وقد جزم الهاء حمزة والأعشى وهي لغة العرب يقفون على الهاء المكني عنها في الوصل إذا تحرك ما قبلها))[٣]، ثم ذكر شواهد على ذلك، والفراء ينزع، أحياناً منازع أهل البصرة في موقفه من بعض القراءات ثم يعود إلى نزعته الكوفية[٤].

وكذا لم يجوز النحاس قراءة التسكين قائلاً: ((فأما إسكان الهاء فلا يجوز إلا في الشعر عند بعض النحويين وبعضهم لا يجيزه))[٥]، وزاد على ذلك فاستبعد أن يكون أبو عمرو قرأ بالتسكين قائلاً: ((فأبو عمرو أجل من أن يجوز عليه مثل هذا والصحيح عنه أنه كان يكسر))[٦]، وقد وقف أبو حيان مدافعاً عن قراءة أبي عمرو راداً من خطأها إذ قال: ((ومما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط ليس بشيء إذ هي قراءة في السبعة وهي متواترة وكفى أنها منقولة عن أمام البصريين أبي عمرو بن العلاء فأنه عربي صريح وسامع لغة وأمام النحو ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا[٧]، وقد أجاز ذلك الفراء وهو أمام في النحو واللغة وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع، وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء إذا كانت بعد متحرك وأنهم يسكنون أيضاً))[٨] فالكسائي والفراء أذن حكيا نقلاً عن العرب أن إسكان الهاء لهجة كما مر وكذا روى ابن جني أن إسكان ضمير الغائب في لهجة أزد السراة[٩].

وقد مر بنا مذهب أبي عمرو في اختلاس الحركة أو التسكين في مواضع الاسم أو الفعل المجزوم، وبهذا احتج ابن خالويه للتسكين في هذه القراءة[١٠].

---

(١) معاني القرآن – للفراء: ٢٢٣/١.
(٢) سورة الأعراف: ١١١.
(٣) معاني القرآن – للفراء: ٣٨٨/١.
(٤) ينظر: الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين – د. أحمد مكي الأنصاري: ٥٠.
(٥) إعراب القرآن – للنحاس: ٣٤٥/١ ، ٦٣٠.
(٦) المصدر نفسه: ٣٤٥/١ ، ٦٣٠.
(٧) البحر المحيط – لأبي حيان: ٤٩٩/٢.
(٨) البحر المحيط – لأبي حيان: ٤٩٩/٢.
(٩) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات – لابن جني: ٢٤٤/١.
(١٠) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٨٦، ٣٥. وما بعدها من هذا البحث موضوع التخفيف من حركة الإعراب.

الخاتمــة:

ربّما يظهر للقارئ الكريم وقد فرغ من قراءة البحث أنّ موقف النحويين من القراءات القرآنية يندرج فيه كثير من الخلاف، إنه يرجع إلى قضايا صوتية :

١. التغير في الأصوات يجري في الكلمة أو الألفاظ المتجاورة نحو الانسجام بين أصواتها وجعلها خفيفة في النطق.
٢. الأصوات المتجاورة يتأثر بعضها ببعض فينقلب الصوت حركة كان ام حرفا الى مثيب أو قريب من الآخر .
٣. الإدغام وهو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة .
٤. ترد بعض الواهر الصوتيه لصلة اتلظواهر اللغوية في القضية الواحدة أحياناً .

مراجع البحث:

- **القرآن الكريم.**

١. الأصوات اللغوية – د. إبراهيم أنيس، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
٢. إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.
٣. معاني القرآن واعرابه – أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: هدى قراعة، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة.
٤. الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥م.
٥. البيان في غريب إعراب القرآن – ابن الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد، طبع الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.

٦. تفسير البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي، مطبعة السعادة، مصر.
٧. تفسير القرطبي ((الجامع لأحكام القرآن)) – أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
٨. التيسير في القراءات السبع – أبو عمرو الداني، تصحيح برتزل، أستانبول، ١٩٣٠م.
٩. الحجة في القراءات السبع – ابن خالويه، تحقيق: عبد العال مكرم، بيروت، ١٩٧١م.
١٠. حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
١١. الخصائص – لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
١٢. الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين – د. احمد مكي الأنصاري، توزيع دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.
١٣. ديوان امرئ القيس، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
١٤. سر صناعة الإعراب – ابن جني، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
١٥. علم اللغة العام – الأصوات – د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م.
١٦. كتاب السبعة في القراءات – ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
١٧. كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٨. اللهجات العربية في القراءات القرآنية – د. عبده الراجحي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
١٩. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات – ابن جني، تحقيق: النجدي وآخرين، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
٢٠. مختصر في شواذ القراءات – ابن خالويه، نشر براجستراسر، مطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.
٢١. مدرسة الكوفة – د. مهدي المخزومي، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥م.
٢٢. مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة، مصر، بالقاهرة.

٢٣. مشكل إعراب القرآن – مكي بن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٥م.
٢٤. معاني القرآن – لأبي الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق: د. فائز فارس، ١٩٧٩م.
٢٥. معاني القرآن – لأبي زكريا الفراء، تحقيق: نجاتي والنجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.
٢٦. النشر في القراءات العشر – ابن الجوزي، مطبعة مصطفى محمد، مصر.